الشعر المصرى فى مائة عام

للاستاذ محمد سيد كيلانى

من ١٨٢٥ — ١٨٨٠

الساعاتى

وقال :

وجه البسيطة ضاق عن جيش به رمت المدى فركبت هول الأبحر

وفيه مبالغة كاذبة . وفضلا عن ذلك فإنه عظم من شأن العدو وأسبغ عليه من مظاهر القوة والمنعة ما يجعل الممدوح على تجهيز جيش كثيف ضاق به البر لياق به هذا الخصم العنيد الجبار ولو كان الخصم ضعيفا هينا لما احتاج الممدوح إلى هذا الجحفل الجرار . .

ومنها :

سرتم وموج البحر يلطم وجهه أسفا على الأعداء كالمتحسر
والسحب ترسل أدمعا من حزنها والرعد يندب فى قبائل حمير
والجو مسود الجوانب عابس والبرق يضحك منه كالمستبشر

وفى هذه الأبيات صور الطبيعة عابسة حزينة باكية على ما سيلحق الأعداء من الخطوب . وهذا لا يحدث إلا إذا كان العدو عظيما . فالطبيعة لا تبكى إلا على عظماء الناس .

ولا شك فى أن الشاعر لم يكن موفقا حينما حشر هذه الأبيات فى هذه القصيدة . فمن المستقبح أن يخاطب الممدوح بمثل هذا .

وقال :

والجاريات تأزرت بقلوعها والريح قد لعبت بفضل المئزر
رقصت على نقر النسيم بدفها وتمايلت بالتيه كالمستكبر

شبه السفن بالنساء وقد تحجبت بالقلوع . وبقى من كل قلع جزء أضحى لعبة فى يد الرياح تحركه كيف شاءت . وهذه السفن ترقص حينما ينقر النسيم على دفها . وتميل تيها وكبرا . ونسى الشاعر أن الرقص والتمايل مما لا يستحب فى السفن . لأن السفينة لا ترقص إلا إذا تعرضت للاخطار وحاقت بها الزوابع والعواصف . حينئذ لا تقوى على السير ولا تستطيع أن تشق طريقها فتعلو وتنخفض بفعل الأمواج . وهذا هو الرقص الذى يريده الشاعر . ولا ريب فى أن التوفيق قد أخطأه . والسفينة لا تميل تيها وكبرا ، إنما تميل ضعفا وعجزا ، وتكون عرضة للغرق بمن فيها .

ونسى الشاعر الجنود الذين فى هذه السفن . ولو أنه خلع من بأس هؤلاء العساكر وقوتهم صورة للسفن فيها روعة وجبروت وعزة لكان ذلك أنسب للمقام ، ولا سيما أن الممدوح ذهب للقتال والنضال . فتصوير السفن بالنساء المتحجبات لا يتلاءم مع الجو الحماسى الذى ينبغى أن يخلق فى هذه الحال . على أن الساعاتى قد أجاد وصف هذه السفن فى قصيدة أخرى حيث يقول :

وشقت لهم صدر العباب سفائن بدت كجبال تحتها البحر أزبدا
رمتهم بأمثال الصواعق أضرمت فكاد بها الدأماء أن يتوقدا

فى هذين البيتين ترى صورة مرعبة مخيفة . وهى من غير شك مناسبة لمقام الحرب . وللساعاتى أبيات فى وصف بعض السفن البخارية التى كان يملكها سعيد باشا ، ومنها :

وقلاعها مثل الفلاع شواهق تحت البنود ومشيها خيلاء

وقد أتى فى هذه الأبيات بما يتفق مع الطابع العسكرى الذى اتسمت به الرحلة السعيدية إلى الأقطار الحجازية .

وقال :

طارت بنا نحو الحديدة سرعة مثل السوابق فى المجاج الأكدر
حملت لها جيشا منذ انتبذت به غربيها وضعت أسود العسكر
من كل مولود لديها لم يزل فى النقع يلعب بالحسام الأبتر

بعد أن شبه السفن بالنساء ترقص وتميل استطرد فصورها حينما طارت نحو الحديدة بالخيول العوابس الجبارة .

وفى هذا تناقض بين صورة النساء المتحجبات وبين الخيول العوابس . وفى البيت الثانى نظر الشاعر إلى قصة مريم . فشبه السفن بالنساء الحوامل . فلما وضعت جاءت مواليدها أسوداء . وصورة الحمل والوضع من الصور المضيفة . وخير من هذا قوله :

رمتهم بأمثال الصواعق أضرمت فكاد بها الدأماء أن يتوقدا

وقال :

ولدوا على مهد العلا وقد اغتذوا بدم المدى وتكحلوا بالعثير

ففى قوله « ولدوا على مهد العلا » معنى جيد . أما بقية البيت فتوحى بصورة كريهة . وأخلق بمن يتكحل بالعثير أن يصاب بالعمى

وقال :

رفعوا الخيام على النجوم وأوقدوا فى الأرض نارا بالقنا المتكسر

وقد أفرم السامانى بهذا المعنى فجاء به فى قصائد كثيرة . وهو من الغلو الذى لا طائل وراءه . وقال :

ولقد أقاموا بالأسنة سوقها فى يوم حرب بالسيوف مسعر

فقضت ببيع المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشترى

ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول الشاعر

أقمنا بالذوابل سوق حرب وصيرنا النفوس لها متاعا

والبيت الثانى جميل المعنى غير أنه أخطأ فى التعبير عما يريد . يريد أن يقول إن الجنود لم يجدوا من يشترى منهم المعتدين فقتلوهم وتركوهم نهبا للنسور . فذكر أن جيش الممدوح لما عدم مشتريا باع الأعداء للنسر . وفى هذه الحال يكون النسر مشتريا فلا محل لقوله « غاب عنها » المشترى . ولو قال :

فقضت بمنح المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشترى

لكان موفقا . وقال :

وتواثبوا نحو الحصون فزلزلت والقوم بين مجندل ومعفر

حتى إذا اقتلعوا القلاع وأسبلوا ذيل العفاف رأيت كل مشمر

والمعنى فى البيت الأول جيد . غير أن الصورة التى فى « معفر » لا تذكر بجانب الصورة التى فى « مجندل » أما البيت الثانى ففى منتهى الضعف . وقال :

اسد إذا نزعوا الدروع لرغبة فى حتفهم لبسوا دروع تصبر

قسوم عصوا إلا لأمر أميرهم ملك بفعل خطيئة لم يأمر

والمعنى فى البيتين تافه . وتكرار « أمر » و « أمير » و « يأمر » جعل البيت الثانى ثقيلا على الأسماع .

وقال :

فضحت مناقبه الملوك وأظهرت تقصير كسرى عن علاه وقيصر

وهذا من لغو الكلام الذى دار على ألسنة الشعراء فى ذلك الدور . ومنها :

فتح الممالك لا لكثرة رغبة فيها ولكن رغبة فى المفخر

والمعنى هنا تافه جدا . وفضلا عن ذلك فأين هى الممالك التى فتحها أبن عون ؟ وقال :

ولقد نحاها والبنود خوافق والرعب فى قلب الحسين وحيدر

والحسين وحيدر كانا من أمراء اليمن فى ذلك الوقت . ولكن ذكرهما على هذه الصورة لا يتفق فى قصيدة يمدح بها أبن عون الذى يدعوه الشاعر بابن بنت الرسول . فلهذين الاسمين من الإيحاء مالا يخفى .

(يتبع)

محمد سعيد كيلانى

ادارة البلديات العامة

تموين

تقبل العطاءات ببلدية ملوى لغاية ظهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن عملية دهان أعمدة الشبكة الكهربائية وتطلب الشروط من بلدية ملوى نظير مائتى مليم بخلاف أجرة البريد .

٤١٧٤

(نشر بهذا الاعلان بالعدد الماضى (٨٦٧) شهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠ والصواب ظهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠

ادارة البلديات العامة

حدائق

تقبل العطاءات ببلدية بور سعيد لغاية ظهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن توريد الفى قنطار برسيم وتطلب الشروط من بلدية بور سعيد نظير مائة مليم بخلاف أجرة البريد .

٤١٩٥